دور كُتَّاب ديوان الإنشاء في العلاقات الدولية

إعداد
أ / ريهام علي الغامدي

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد ان محمد عبده ورسوله، أما يعد،،

اهتم المسلمون منذ ظهور الإسلام بالمراسلات التي عرفت فيما بعد بالمراسلات الديوانية، ثم اتخذت كلمة "الإنشاء" سمة خاصة بها[١]. كما صار صاحب ديوان الإنشاء ذا منصب رفيع يتم اختياره من أعظم كتّاب عصره كتابةً وبلاغة[٢]. وفي تعريفه للديوان يقول الماوردي: "والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال"[٣].

وقد عُرف ديوان الإنشاء في مصر في العصر الفاطمي وصار أكثر شهرة وتوسعاً، بحيث تطور تطوراً تاماً وعُرف من يتولى أمره بكاتب الدست الشريف، وذلك لكتابته على الدست[٤]. ولعظم مكانته كان يُنعت بالأجل، وكان الخليفة يستشيره في أمور كثيرة، ولا يُحجب عنه متى قصد المثول بين يديه[٥]. وكان يعاونه عدة من أكابر الكتاب، منهم صاحب التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم، وهو الذي يلي صاحب ديوان الإنشاء وله من الخليفة الفاطمي مكانة عظيمة لأنه جليسه وقارؤه، ومنهم أيضاً صاحب التوقيع بالقلم الجليل ووظيفته تنفيذية، لأنه كان يشرف على تنفيذ ما يوقع به صاحب القلم الدقيق بعد أمر الخليفة أو الوزير، أو بما يراه هو، ثم تحمل إلى صاحب القلم الجليل فيفصل فيها، وتُحمل بعد ذلك إلى الخليفة، فيوقع عليها ثم تسلم إلى أربابها وينفذ ما فيها[٦].

وعلى كل حال فقد استمر العمل في ديوان الإنشاء على هذا النّهج طوال العصر الأيوبي، ثم تطور بتقدم الأيام حتى بلغ ذروة التنظيم في العصر المملوكي، نظراً لاتساع رقعة الدولة وتعدد

---

[١] حسن حبشي: ديوان الإنشاء.. نشأته وتطوره، بحث في كتاب أبو العباس القلقشندي، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص٨٣.

[٢] الماوردى: الأحكام السلطانية والولايات الدينية،دارالكتبالعلمية،بيروت، (د.ت)، ص ٢٧٤ والتى تليها؛ محمود عرفه محمود: الدولة الفاطمية في مصر الأحوال السياسية والنظم الحضارية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م،ص٢٨٤.

[٣] الماوردي: الأحكام السلطانية، والولايات الدينية، ص١٩١.

[٤] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩١؛ محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٤م، ص١٤٥؛ أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص٨٥؛محمود عرفه محمود: الدولة الفاطمية في مصر، ص٢٨٤.

[٥] الجهشياري: كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق:مصطفى السقا، ابراهيم الإبياري، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ص٣٤-٤٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٥٦٣.

[٦] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ص٥٦٣ - ٥٦٤؛ محمود عرفه محمود: الدولة الفاطمية في مصر، صص ٢٨٤- ٢٨٥، ٢٨٨.

جهات اتصالاتها، لاسيما الخارجية منها بصورة جعلت القائمين بالكتابة الديوانية هيئةً خاصة[٧]. وكان مقره في القلعة، وبه قاعة خاصة تعرف باسم **"قاعة الإنشاء"**[٨].

أسباب اختيار الموضوع

ازدادت أهمية ديوان الإنشاء مع مرور الزمن،لذلك فإن من أبرز الأسباب التي دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع هو:تسليط الضوء على كُتَّاب المراسيم التي تتعلق بالمراسلات والمعاهدات والبروتوكلات الدبلوماسية السائدة في ذلك العصر، بما يتناسب مع موضوع الدراسة، خاصة وأن ديوان الإنشاء قد شهد نبوغ العديد من الكتاب، بل ظهرت أسرٌمتخصصة في الكتابة والإنشاء. ويأخذ كل كاتب منهم نفسه بالاهتمام بالفنون اللازمة، التي تهيئه لشغل وظيفة كاتب السر.

أهمية الدراسة وهدفها:-

ولعل أهمية هذه الدراسةترجع إلى أنها تعتمد على الوثائق الصادرة عن ديوان الإنشاء، والتي وردت في كتب الوثائق المملوكية، وإذا ما صح صدورهاعنه، يمكن أن تعتبر الحكم الفصل في صحة الخبر من عدمه، فهناك أخبارعند المؤرخين، يقف الباحث منها موقف التشكك، ولا يستطيع الفصل فيها لغرابتها، ولكن هذا الشك يزول إذا ما عثر على وثيقة تؤيد الخبر أو تنفيه[٩]. ولذلك جاءت كتب الوثائق المملوكية أكثر توضيحاً وإفادة من كتب الحوليات، ذلك أن كتب الحوليات التي كتبها مجموعة من مشاهير المؤرخين، أمثال المقريزي وابن حجر والعيني وابن تغري بردي وابن إياس، تكاد تسير كلها على نمط واحد، وتكاد تتفق كلها في قدر واحد من المعلومات؛ فإذا ذكر أحدهم أن السلطان عقد هدنة أو اتفاقاً أو أرسل رسالة إلى ملك أو أمير، فإنه قد لايستطيع الحصول على صورة تلك الهدنة أو الرسالة، مثلما يفعل مؤلفو كتب الوثائق، مما يضفي ضوءاً على طبيعة العلاقات العامة والخاصة في ذلك العصر. وهكذا نجد المؤرخين من كتاب الحوليات يطوون السنوات طياً، ويركزون عنايتهم على جوانب معينة يلتزمون الكلام عنها. وهنا يأتي دور كتب الوثائق المملوكية مثل كتاب التعريف بالمصطلح الشريف وكتاب صبح الأعشى للقلقشندي وغيرها، ليسد تلك الثغرات، بما يحويه من معلومات خطيرة عن النظم الداخلية والعلاقات الخارجية، فضلاً عن الأضواء التي يلقيها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والدينية، وغيرها[١٠].

بناء على ما سبق يمكن تلخيص أهداف الدراسة في هدفين اثنين هما:

---

[٧]حسن حبشي: ديوان الإنشاء.. نشأته وتطوره، ص٨٣.

[٨]عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧م، ج١، ص٥٥؛ محمد قنديل البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص١٤٤.

[٩]عبد القادر أحمد طليمات: وثائق القلقشندي في صبح الأعشى، بحث في كتاب (أبو العباس القلقشندي، وكتابه صبح الأعشى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص١١٩.

[١٠]سعيد عاشور: كتاب صبح الأعشى، مصدر لدراسة تاريخ مصر في العصور الوسطى، بحث في كتاب (أبو العباس القلقشندي، وكتابه صبح الأعشى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، صص ٢٨- ٢٩.

١. فحص ما ورد في متون كتب الوثائق المملوكية من رسائل وعقود ومعاهدات ومهادنات وموادعات ومسالمات ومصالحات ومقاضاة ومواصفات، وجميعها كما قال القلقشندي: "أصولٌ تتعين على الكاتب معرفتها"[١١].
٢. رصدت جوانب من علاقة دولة سلاطين المماليك بأباطرة وملوك أوروبيين مغمورين أغفلتهم العديد من الدراسات التاريخية أو تكاد.

مشكلة الدراسة:-

ترجع مشكلة إلى ندرة الدراسات التي غطتها، وذلك على الرغم من أهميتها، بالإضافة إلى تناثر المادة العلمية الخاصة بها، وتشتتها بين ثنايا المصادر والمراجع المتباينة، مما يحتاج إلى بذلل جهد كبير لجمع المادة المتناثرة بين ثنايا المصادر، ومن ثم يضيف هذا الموضوع إلى المكتبة التاريخية دراسة متخصصة عن دور كُتَّاب ديوان الإنشاء في العلاقات الدولية.

التطور التاريخي لديوان الإنشاء

اهتم المسلمون منذ ظهور الإسلام بالمراسلات التي عرفت فيما بعد بالمراسلات الديوانية، ثم اتخذت كلمة "الإنشاء" سمة خاصة بها[١٢]. كما صار صاحب ديوان الإنشاء ذا منصب رفيع يتم اختياره من أعظم كتّاب عصره كتابةً وبلاغة[١٣]. وفي تعريفه للديوان يقول الماوردي: "والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال"[١٤].

وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كُتَّابًا يكتبون ما يصدر عنه من رسائل، وما يكاتب به أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة. وكذلك من يقرب من السلاطين والملوك يدعوهم إلى اعتناق الإسلام[١٥]. وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يكن هناك ديوان للرسائل حتى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. وقد احتل ديوان الرسائل مكاناً مرموقاً بين الدواوين العباسية وإن غلب عليه اسم ديوان الإنشاء، لأن لفظة الإنشاء المستعملة في ديوان الرسائل، كانت تعني النسخة التي يعدّها الكاتب لتُعرض على متولي هذا الديوان فيزيد أو ينقص فيها أو يقرأها على حالها ويأمر بتحريرها[١٦]. ويفهم من القلقشندي أن العمل بديوان الإنشاء استمر طوال العصر

---

[١١] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، الطبعة الأميرية، القاهرة،١٤١٨م، ج١٤، ص ص٢-٤.

[١٢] حسن حبشي: ديوان الإنشاء.. نشأته وتطوره، بحث في كتاب أبو العباس القلقشندي، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص٨٣.

[١٣] الماوردى: الأحكام السلطانية والولايات الدينية،دارالكتبالعلمية،بيروت، (د.ت)، ص ٢٧٤ والتى تليها؛ محمود عرفه محمود: الدولة الفاطمية في مصر الأحوال السياسية والنظم الحضارية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م،ص٢٨٤.

[١٤] الماوردي: الأحكام السلطانية، والولايات الدينية، ص١٩١.

[١٥] حسن حبشي: ديوان الإنشاء.. نشأته وتطوره، ص٨٣.

[١٦] أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى،دار الفكر العربي، القاهرة، ط١٩٩٩،٣م، ص٨٤.

العباسي، ثم بطُل بسقوط الخلافة العباسية في بغداد بعد أن قضى عليها المغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[١٧].

أما عن ديوان الإنشاء في مصر فيرجّح بعض الباحثين أنه وُجد بها منذ عصر الدولة الطولونية (٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨- ٩٠٥م)[١٨]، أو الدولة الإخشيدية (٣٢٣- ٣٥٨هـ/ ٩٣٥- ٩٦٩م)[١٩]. وهو من أهم الأعمال الديوانية.وقد عُرف ديوان الإنشاء في مصر في العصر الفاطمي وصار أكثر شهرة وتوسعاً، بحيث تطور تطوراً تاماً وعُرف من يتولى أمره بكاتب الدست الشريف، وذلك لكتابته على الدست[٢٠]. ولعظم مكانته كان يُنعت بالأجل، وكان الخليفة يستشيره في أمور كثيرة، ولا يُحجب عنه متى قصد المثول بين يديه[٢١]. وكان يعاونه عدة من أكابر الكتاب، منهم صاحب التوقيع بالقلم الدقيق في المظالم، وهو الذي يلي صاحب ديوان الإنشاء وله من الخليفة الفاطمي مكانة عظيمة لأنه جليسه وقارؤه، ومنهم أيضاً صاحب التوقيع بالقلم الجليل ووظيفته تنفيذية، لأنه كان يشرف على تنفيذ ما يوقع به صاحب القلم الدقيق بعد أمر الخليفة أو الوزير، أو بما يراه هو، ثم تحمل إلى صاحب القلم الجليل فيفصل فيها، وتُحمل بعد ذلك إلى الخليفة، فيوقع عليها ثم تسلم إلى أربابها وينفذ ما فيها[٢٢].

كان الخليفة الفاطمي يختار صاحب ديوان الإنشاء بنفسه من بُلغاء القوم وفُصحائهم، ولم يفرق في ذلك بين مسلم وذمّي، فوجدنا العزيز بالله يختار أبا المنصور بن سوردين النصراني

---

[١٧] القلقشندي: صبح الأعشى، في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وافية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج١، ص٩٤؛ أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص٨٥.

[١٨] أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص٨٥.

[١٩] القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٩٥؛ سيدة اسماعيل كاشف: مصر في عهد الإخشيديين، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٧٥؛ أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص٨٥.

[٢٠] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٩١؛ محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٤م، ص١٤٥؛ أحمد عبد الرازق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص٨٥؛محمود عرفه محمود: الدولة الفاطمية في مصر، ص٢٨٤. وقد فسر القلقشندي كلمة الدست بإنها نسبة إلى دست الخليفة أي موضع جلوسه، وعرف كتاب الدست بقوله: "كتّاب الدّست، وهم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان بدار العدل في المواكب على ترتيب منازلهم بالقدمة، ويقرأون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر، على ترتيب جلوسهم ويوقّعون على القصص كما يوقّع عليها كاتب السر. وسمّوا كتّاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه: لجلوسهم للكتابة بين يديه؛ وهؤلاء هم أحقّ كتّاب ديوان الإنشاء باسم الموقّعين: لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم" صبح الأعشى، ج١، ص١٧٣.

[٢١] الجهشياري: كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق:مصطفى السقا، ابراهيم الإبياري، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ص٣٤-٤٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٥٦٣.

[٢٢] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ص٥٦٣ - ٥٦٤؛ محمود عرفه محمود: الدولة الفاطمية في مصر، ص ص ٢٨٤- ٢٨٥، ٢٨٨.

كاتباً له واستمر هذا الكاتب خلال عهد ابنه الحاكم بأمر الله، فلما توفى ابن سوردين، اختار الحاكم القاضي أبا الطاهر البهزكي كاتباً له، وقد استمر خلال عهد الظاهر لإعزاز دين الله، ثم اتخذ الخليفة الحافظ لدين الله، ابن الدم اليهودي كاتباً له[٢٣].

وعلى كل حال فقد استمر العمل في ديوان الإنشاء على هذا النّهج طوال العصر الأيوبي، ثم تطور بتقدم الأيام حتى بلغ ذروة التنظيم في العصر المملوكي، نظراً لاتساع رقعة الدولة وتعدد جهات اتصالاتها، لاسيما الخارجية منها بصورة جعلت القائمين بالكتابة الديوانية هيئةً خاصة[٢٤]. وكان مقره في القلعة، وبه قاعة خاصة تعرف باسم "**قاعة الإنشاء**"[٢٥].

ولا شك أن الشخصية البارزة في ديوان الإنشاء هي شخصية "الكاتب" أو "المنشيء" الذي تبوأ منذ بداية ظهوره مكانةً سامية، "فكان الأمين على السر الذي يقضي به إليه بما قد يحجب الخبر عن غيره". ومن ثم وضعوا له عدة شروط، أولها: العدالة، على اعتبار أن الكتابة ولاية شرعية، وثانيها: ما يعرف بالتكليف، وذلك للحاجة إلى بالغ مدرك لما يقتضيه الرأي والأمر وما لايجوز فيه التعديل على الصبي، وثالثها: الذكورة، ورابعها: الإسلام، وخامسها: الحرية، وسادسها: البلاغة، وسابعها: العقل، وثامنها: العلم بالأحكام الشرعية، وتاسعها: شرف النفس، وعاشرها: الكفاية[٢٦].

كما كان على صاحب الديوان أن يتمتع ببعض الصفات والسمات الشخصية التي تؤهله لشغل هذا المنصب، مثل "صباحة الوجه وفصاحة اللفظ، وطلاقة اللسان، وإيثاره الجد على الهزل، وتوقد الفهم وحسن الإصغاء، وإيثار الشغل على الفراغ، كما كان عليه التهيؤ الدائم لملازمة مجلس الملك أو السلطان إذا كان جالساً، وملازمة الديوان إن لم يكن السلطان جالساً، ليتأسى به سائر كتاب الديوان ولايجدوا رخصة في الغيبة عن ديوانهم . وأن يُقدّم هوى الملك على هواه ورضاه على رضاه، ما لم يُرى في ذلك خللا على المملكة. فإنه يجب أن يهدي النصيحة فيها للملك من غير أن يُوجد فيما تقدّم من رأيه فسادا أو نقصا، فيتحيّل لنقص ذلك وتهجينه في نفسه وإيضاح الواجب فيه بأحسن تأنّ وأفضل تلطّف. وأن يُنحل الملك صائب الآراء ولا ينتحلها عليه. ومهما حدث من الملك: من رأي صائب أو فعل جميل أو تدبير حميد، أشاعه وأذاعه، وعظمه وفخّمه، وكرر ذكره، وأوجب على الناس حمده عليه وشكره. وإذا قال الملك قولاً في مجلسه أو بحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقا للصواب، فلا يُجبه بالردّ عليه

---

[٢٣]القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٩٦؛ محمود عرفه محمود: الدولة الفاطمية في مصر، ص ص٢٨٦-٢٨٧، كان ابن أبى الدم من كبار الشخصيات اليهودية الموجود بالدولة الفاطمية تولى الكتابة للآمر بأحكام الله وتولى أيضاً للحافظ لدين الله. **انظر**. المقريزى : اتعاظ الحنفا بذكر الأمة الفاطميين الخلفا، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م،ج٣، ص١٣٣؛ القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٩٦.

[٢٤]حسن حبشي: ديوان الإنشاء.. نشأته وتطوره، ص٨٣.

[٢٥]عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧م، ج١، ص٥٥؛ محمد قنديل البقلي: مصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص١٤٤.

[٢٦]الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ص١٨٥-١٨٦؛ حسن حبشي: ديوان الإنشاء.. نشأته وتطوره، ص ص٨٤-٨٥.

واستهجان ما أتى به، لأن ذلك يعد من الأخطاء الكبيرة، بل يصبر إلى حين الخلوة، ويدخل في أثناء كلامه ما يوضّح به نهج الصواب، ولا يتبجّح بما عنده"[٢٧]. وفي الحقيقة فقد كان ديوان الإنشاء، أو ديوان السر، مثلما أصبح يعرف عند المماليك أحد أهم النظم الادارية التي اهتم بها سلاطين المماليك،فكان رئيس الديوان يُعين بمرسوم سلطاني ينتهي بحلف اليمين أمام السلطان. ثم يقوم بتعيين معاونيه او مساعديه (نوابه)[٢٨]. وكان السلطان يمنحه لقب شرف يتميز به عن غيره من أصحاب الدواوين مثل لقب مقر أو رئيس[٢٩]. وكذلك يخلع عليه خلعة التنصيب، وهي جُبة ثمينة مطرزة بالحريريصحبها فراء فاخر[٣٠]. فضلاً عن الهدايا التي كانت تعطى له.

قُسّمت أعمال هذا الديوان منذ استحداثه بالنسبة للفئات العاملة فيه إلى مجموعتين عاملتين: الأولى خاصة بالكِتابة والكُتّاب،والثانية ذات مهام ترتبط بالمساعدين من غير الكُتّاب،فيما يرأس هاتين المجموعتين كاتب يعرف باسم كاتب السر، أو كاتم السر، الذي يتولى الرد على الكُتب التي ترد الى الديوان، إذ يكتب أجوبتها بخطه أو بخط أحد معاونيه من كُتّاب الدست، أو الدرج، بعد أخذ علامة السلطان عليها[٣١].من أجل هذا أشترط فيه أن يكون ملماً بأمور الديوان، مطلعاً على خفاياه، ويباشر الأشراف على كُتّابه من خلال توزيع العمل بينهم،وقد حظي كاتب السر بمكانة متميزة لدى سلاطين البلاد منذ أن ولي فتح الدين ابن عبد الظاهر (ت: ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢م) كِتابة السر أيام السلطان المنصور قلاوون، حتى أصبح يحضر حلف اليمين التي يؤديها ولاة الأقاليم بعد تعيينهم. فكان يقوم بنفسه بكتابة مراسيم التولية وتزويدهم بنصائح لرفع الظلم عن المظلومين.أما اذا أحس بخطر يهدد مصلحة السلطان أو الرعية فيُبادر إلى اطلاعهِ من دون تردد،ولهذا تتوفرشهادة من القلقشندي في وصف منزلتهِ تلك بقولهِ:**"**ومرتبتهِ في زماننا أرفع مرتبة، ومحلهُ أعظم محل، إليه تلقي اسرار المملكة وخفاياها، وبرأيه يستضاء في مشكلاتها، وعلى تدبيره يعول في مهماتها، وإليه ترد المكاتبات وتصدر، ومن دواوينهِ تكتب الولايات السلطانية كافة، ويقوم بتوقيعه على القصص والأوامر مقام توقيع السلطان"[٣٢]. ويوثق العمري، كونه أحد كُتّاب السر،هذه المسؤوليةبقوله: **"**وانني مهما أطلعت عليه من مصالح مولانا السلطان، أوصلهُ اليه، وأعرضهُ عليه، ولا أخفيه شيئاً منه، ولو كان عليّ، ولا اكتمه، ولو خفت وصول ضرره إليّ"[٣٣]. أما المقريزي فيصفه: **"**ومنزلة كاتب السر منزلة صاحب ديوان

---

[٢٧]القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٣١٠.

[٢٨]القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٣١٠.

[٢٩]القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص ص٤٩٤-٤٩٥؛ ابن اياس: بدائع الزهور،بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى في خمسة أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٨٢-١٩٨٤م) ج٣، ص ص٣-٤.

[٣٠]القلقشندي: صبح الاعشى، ج٥، ص٤٨٩ **وانظر** سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة،ط١٩٦٢،١م، ص٣٠٧.

[٣١]هي ما يكتبه السلطان على صورة اصطلاحية خاصة، وكان لكل سلطان علامة وتوقيع.المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بـ الخطط المقريزية، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت)، ج٢،ص٢١٠؛ السلوك،ج١، ص٣٤٤.

[٣٢]صبح الاعشى، ج١، ص١٠١.

[٣٣]التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٥.

الانشاء، إلا انه يتميز بالتوقيع على القصص تارةً بمراجعة السلطان، وتارةً بغير مراجعته"[٣٤]؛ لذلك اشترط في كاتب السر أن يكون صبيح الوجه، فصيح الألفاظ،طلق اللسان، أهلاً في قومهِ، رفيعاً في حسبهِ، وقوراً وحليماً مؤثراً للجد على الهزل كثير الأناة والرفق، وقليل العجلة ومهيب المجلس سريع الرضا بطيء الغضب محباً لأهل العلم والأدب، ومن مجموع هذه القائمة من الشروط يلاحظ ان أكثرها أهمية واكثرها تأثيراً في مستقبل متوليها هي صفة كتمان السر،ومن هنا روج القلقشندي صفة مرشحها حين شدد بوجوب أن يتصف بالأمانه ويتناسى كل خبر يسمعه ولايتناقله ويكون متابعاً للملك بأخلاق فاضلة[٣٥].

وكان ديوان الإنشاء يضم مجموعة من الكتاب عُرفوا بكتاب الدّرج، وهم الذين يكتبون ما يوقّع به كاتب السر أو كتّاب الدست أو إشارة النائب أو الوزير، أوغيرها من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير والأيمان والأمانات. ويرجع سبب تسميتهم"كتّاب الدُّرج" إلى أنهم يكتبون هذه المنشورات وغيرها في "دروج الورق". والمراد بالدُّرج في العرف العامّ "الورق المستطيل المركّب من عدّة أوصال، وهو ... عبارة عن عشرين وصلا متلاصقة لا غير". ... ويجوز أن يطلق عليهم كتاب الإنشاء لأنهم يكتبون ما ينشأ من المكاتبات وغيرها؛ "ولا يجوز أن يطلق عليهم لقب الموقّعين لأن المراد من التوقيع الكتابة على جوانب القصص ونحوها...". وقد ضعف أمر هذه الوظيفة وانحط مقدارها وذلك تحديداً فى عصر المماليك الجراكسة و لم يعد يشغلها من هو أهل لها حتى أصبح كتاب الدست هم المتصدّون لكتابة المهم من كتابة الدّرج[٣٦].

وبقي الأمر على ذلك إلى أن ولّي الديوان القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر، فلقّب بكاتب السر، وأصبح لقب كاتب الدّست في أدنى طبقات كتّاب الديوان[٣٧]. واستمر ذلك لقباً على كل من ولّي الديوان. ويضاهيه في ذلك متولّي ديوان الإنشاء في بلاد الشام، إلا إنه لا يعرف في مصطلح الديوان "صاحب ديوان الإنشاء" كما يقال في متولي ديوان الإنشاء في مصر، بل يقال لمتولي ديوان دمشق "صاحب ديوان الإنشاء بالشام"، ومتولي ديوان حلب "صاحب ديوان المكاتبات

---

[٣٤]الخطط، ج٢، ص٣٠٨.

[٣٥] القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ص١٣٩-١٤٠؛ حسن حبشي: ديوان الإنشاء.. نشأته وتطوره، ص٨٥.

[٣٦]القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص١٧٣.

[٣٧]القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص١٣٨؛ السحماوي: الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم المعروف باسم (المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الإنشا للخالدي)، دراسة وتحقيق: أشرف محمد أنس، ج١، ص ٦٢ وما بعدها. والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، رأس موقعي وكتاب الدست في أيام المنصور قلاوون، ولم يتول رئاسة الديوان بل الذي تولاها هو ابنه فتح الدين بن عبد الظاهر، توفي عام ٦٩٢هـ، ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، مقدمة المحقق، ص٥ وما بعدها، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ج ٧، ص ص٢٩٣- ٣٣٤، كان محيى الدين بن عبد الظاهر كاتباً فى ديوان الإنشاء عندما تولى بيبرس الحكم، ويبدو أن عمله فى الديوان كان من أيام الملك المظفر قطز وسرعان ما حاز ثقة بيبرس بعد توليه الحكم، واستمر محيى الدين بن عبد الظاهر فى مركزه بديوان الإنشاء طوال فترة حكم بيبرس، وأثناء حكم ابنيه وجزء من فترة حياة قلاوون. مقدمة عبد العزيز الخويطر فى كتاب ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر، ص ص ٩-١٠.

بحلب"، وكذلك في البقية. أما غزّة، والكرك، والإسكندرية وغيرها يقال في من تولى شيئاً من دواوينها " كاتب دُرج "ولا يطلق عليه " كاتب سرّ" لأنها من النيابات الصغيرة. والعامة يبدلون الباء من كاتب السّرّ بميم، فيقولون كاتم السر، وهو صحيح المعنى لأنه يكتم سرّ الملك[٣٨].

وهكذا فقد ازدادت أهمية ديوان الإنشاء في زمن المماليك وتعددت التخصصات داخل الديوان.وما يهمنا هو تسليط الضوء على كُتَّاب المراسيم التي تتعلق بالمراسلات والمعاهدات والبروتوكلات الدبلوماسية السائدة في ذلك العصر، بما يتناسب مع موضوع الدراسة، خاصة وأن ديوان الإنشاء قد شهد نبوغ العديد من الكتاب، بل ظهرت أسرٌمتخصصة في الكتابة والإنشاء. ويأخذ كل كاتب منهم نفسه بالاهتمام بالفنون اللازمة، التي تهيئه لشغل وظيفة كاتب السر. وكان البعض منهم يستخدم أحد أبنائه لينوب عنه، أو يوليه استقلالاً، كما حدث عندما استدعى الملك الناصر محمد بن قلاوون القاضي محيي الدين بن فضل الله من الشام، وولاه ديوان الإنشاء في مصر في محرم سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٨م. وكان ولده القاضي شهاب الدين هو الذي يقرأ البريد على السلطان وينفذ المهمّات إلى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١مثم عمل مع والده في ديوان الإنشاء في مصر إلى سنة ٧٣٨هـ / ١٣٧٣م[٣٩].

ولم تكن هذه الظاهرة تعني إيثار ذوي القربى، أو ترجع إلى عصبية أسرية، ولكن الباحثين في هذا المجال يفسرونها بأن هذه الأسر والعائلات، كانت تهتم بالآلات اللازمة للكتابة، نظراً لما تدره الكتابة على شاغليها من كسب مادي ومعنوي ومكانة مرموقة، ترقى بصاحبها إلى مجالسة السلطان[٤٠]. ويمكننا القول أن أفراد هذه العائلات كانوا يمتلكون أسرارالكتابة في ديوان الإنشاء، ودربوا أبناءهم على اتقانها فكانوا الأجدر دائماً في الانخراط في سلكها وتحمل أعبائها وتبعاتها.

دور كُتَّاب ديوان الإنشاء في المراسم والبروتكولات الدبلوماسية:

كان ديوان الإنشاء في مصر يتميز بكثرة الكتاب وتنوع تخصصاتهم وثقافتهم، كذلك كان لهذا الديوان رسوم وتقاليد معتبرة، منها ما يتعلق بموظفيه، ومنها ما يتعلق بمحفوظاته؛ فكان لصاحبه اختصاصات معينة يتصرف فيها بحكمته، ووفق قواعد مرعية نتجت عن تجارب سابقة، في مجال الكتابة والمراسلات الديوانية. ولعل أهم ما كان يتميز به من اختصاصات هو مراعاةالألقاب والمراتب والدعاء في المكاتبات، والولايات، وذلك فيما يتعلق بالدول والإمارت الإسلامية وغير الإسلامية، فقد صار "موكولا إلى نظر صاحب ديوان الإنشاء ينزل كل أحد من المكاتبين وأرباب الولايات منزلته على ما يقتضيه مصطلح الزمان من علوّ وهبوط؛ وحينئذ فعليه أن يحتاط في ذلك ويؤاخذ كتّاب الإنشاء بالمشاحّة فيه، والوقوف عند ما حدّ لهم من غير إفراط ولا تفريط"[٤١].

وينبغي على الكاتب أن يتصفح ما يخرج من ديوان الإنشاء من مناشير ومراسيم ومكاتبات، فلا يجوز له أن يلقب أحداً دون لقبه، وإلا أنزله من مكانته. وترتب على ذلك أمران، أحدهما أن

---

[٣٨]القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص١٣٨.

[٣٩]القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص١٣٢.

[٤٠] حسن حبشي: ديوان الإنشاء.. نشأته وتطوره، ص٨٩.

[٤١]القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص١٤٧.

الدولة الصادر منها الكتاب لا تعرف مجريات الأحداث والأمور خارج حدودها، وأنها تعيش في عزلة عن العالم. وثانيها أن مخاطبة أحد الملوك أوالأمراء بلقب دون لقبه، فيه حط من منزلته، وهو الأمر الذي يترتب عليه حدوث تراخ في العلاقات، أو تؤثر فيها[٤٢]. ومن هذا المنطلق كان لابد لمن يتولى ديوان الإنشاء أن يكون ملمّاً بأعمال الكتابة: فكان يلقي إلى الواحد منهم الكلمة الواحدة أو المعنى المفرد، فيبني عليه الكلام الطويل. وكان منهم بالضرورة من يعرف اللغات الأجنبية لا سيما التركية، لأن حكام المماليك أتراك؛ فكان هؤلاء المتخصصون يقومون بالمكاتبات الصادرة للملوك شرقاً وغرباً، وتعريب الكتب الأعجمية[٤٣].

ويعد عصر سلاطين المماليك أحد العصور التي تجلت فيها مثل هذه العلاقات. وقد ترتب عليها ظهورالعديد من المؤرخين والكتاب الذين أثْروا المكتبة التاريخية بعدد من المؤلفات المهمة، اشتملت على بعض المناشير والرسائل والمكاتبات التي تعد وثائق ذات قيمة تاريخية عظيمة، رسمت صورة متكاملة إلى حد ما – حسب رؤية كاتبها – للطرف الآخر. ولسنا بصدد استعراض ما تم إنجازه في هذا المجال من الجانبين، بل دراسة وتحليل رؤية المؤرخ العربي لصورة أباطرة الروم البيزنطيين وملوك الغرب الأوروبي كذلك من خلال وثائق ديوان الإنشاء.

فقد تميز هذا العصر بكتاباته الديوانية التى خلفت لنا فيضاً من المعرفة التاريخية ذات الطابع الوثائقي، والتى أوقفتنا بجلاء على طبيعة العلاقات بين سلاطين المماليكوالإمبراطورية البيزنطية فى كافة المناحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وإن كانت الإشكالية التى واجهت هذا الأمرهي عدم الكتابة الصحيحة لأسماء الأباطرة أوالأشخاص المحوريين في هذه الحقبة، ككتابتهم **"نقفور"**[٤٤]بدلاً من الإسم الصحيح للإمبراطور(نقفور الأول Nicaphorus I) (٨٠٢-٨١١م) أو (نقفور فوكاس Nicaphorus Phocas) (٩٦٣- ٩٦٩م)، أو حتى أسماء المواضع والأماكن التى نقلتها لنا كتب الوثائق أو المصادر العربية بصفة عامة. وقد يرجع ذلك إلى ضعف الفهم اللغوى من الكتاب العرب للغات الأجنبية، وإن كان ذلك لم يكن قاعدة عامة وتحديداً فى العصر المملوكي، فلدينا العديد من الإشارات إلى وجود تراجمة استطاعوا ترجمة اللغات

---

[٤٢]حسن حبشي: ديوان الإنشاء.. نشأته وتطوره، ص٩١.

[٤٣]عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، ج١، ص٥٥؛ محمد قنديل البقلي: مصطلحات صبح الأعشى،ص١٤٤.

[٤٤] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٣٧٨؛ج٦،ص٤٤٦.

أورد القلقشندي الرسالة التي أرسلها الإمبراطور نقفور الأول إلى هارون الرشيد، وأتبعها بنص الرد عليها من الخليفة العباسي، بعد نقض الإمبراطور للمهادنة الموقعة بين الإمبراطورة إيرين وهارون الرشيد، والمعروف أن نقفور الأول يرجع إلى أصل شرقي أقامت أسرته (الأيسورية) في آسيا الصغرى، وكان يشغل منصب وزير المالية للإمبراطورة إيرين، ثم قام بخلعها عن العرش، ونصب نفسه امبراطوراً، وانتهى الأمر باغتياله في معركة ضد البلغار. أما نقفور الثاني فوكاس فهو أحد أباطرة الأسرة المقدونية تولى العرش عقب وفاة الإمبراطور رومانوس الثاني ببضعة أشهر عندما نادى به الجيش امبراطوراً.الطبري: تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت،ط٢، ١٣٨٧هـ،ج٨، ص ص٣٠٧–٣١٠؛ وعن نقفور فوكاس **انظر** جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦١.

الأجنبية للوافدين الأجانب أو فى المعاهدات[٤٥]. وكذلك كانت أسماء وألقاب أوروبية كثيرة تكتب كغير ما تنطق من متحدثيها بل كما تسمع من كاتبيها[٤٦].

ومؤكد أن ديوان الإنشاء أوالرسائل في زمن الأيوبيين والمماليك، بما كان يخرج عنه من مناشيرٍ ورسائل ومراسيم وغيرها، قد لعب دوراً مهماً في صياغة هذه الوثائق التاريخية، حيث اعتمد مؤلفوها اعتماداً كبيراً عليها، وخاصة من عملوا في هذا الديوان أو في أروقة الحكم والإدارة في الدولة أمثال القاضي الفاضل وابن عبد الظاهر وغيرهما.وقد ترتب على ذلك ظهور نوع من الكتابة التاريخية، عرفت مؤلفاتها باسم كتب الدساتير، التي مثلت نوعاً من أنواع المصادر التي لاغنى للباحث من الاعتماد عليها، لما احتوت عليه من معلومات تاريخية مهمة حول التطورالإداري لوظائف الدولة، والألقاب والرسوم المستخدمة في ذلك العصر. كما أنها تلقي الضوء على العلاقات الدبلوماسية بين دولة المماليك والدول المعاصرة لها في العالم[٤٧].

وكان من الطبيعي أن يكون من بين هؤلاء الكتاب في الديوان مجموعة نابغة في الترجمة، وعلى دراية باللغات الأجنبية، حتى يتسنى لهم مخاطبة الآخر بلسانه وفهم مقصده، وترجمة أقواله ومكاتباته والرد عليها بما يناسبها. ولو وقفنا على العصر الأيوبي الذي كان عصر المماليك يعتبر امتداداً له، لوجدنا كاتباً كبيراً يلي القاضي الفاضل أهمية في دولة صلاح الدين، وهو العماد الأصفهاني (ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م) الذي عُرف عنه أنه كان ينشئ الكتب بالأعجمية[٤٨].

وقبيل أفول نجم الدولة الأيوبية وبداية الزحف المغولي استخدم الأيوبيين بالشام ومصر في ديوان الإنشاء واحداً من الكتاب الأعاجم وهو المؤيد بن الموفق بن محمد الدّفترخوان الحنفي الذي قدم إلى دمشق في أيام الناصر صلاح الدين داوود (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، ثم باشر العمل في ديوان الإنشاء بمصر أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٨م). وكان المؤيد: "يكتب خطاً حسناً، وينظم وينثر بالعجمي والعربي، وكان قدومه في أيام الناصر

---

[٤٥] يعد شير زاد بن ممدود بن على شرف الدين الرومى (ت: ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م) مثالاً للتراجمة الذين كانوا على وعى كبير وعملوا بديوان الإنشاء ويبدو أنه كان ذا ثقافة لغوية كبيرة حيث وصل به الحال إلى أن تقرر ترجماناً للدولة للكتب التى ترد من بلاد العجم فى سلطنة قطز الى أن مات. **انظر**.سمير الدروبي: أصناف الترجمة في ديوان الإنشاء، بحث منشور فى مجلة جامعة اللغة العربية، الأردن، (د.ت)، ص١٢.

[٤٦]**لدينا العديد من هذه النماذج نورد منها التالى :**

"ريموند سان جيل" يكتب فى المصادر العربية "جنجيل"،"حنا تزيمكس" يكتب فى المصادر العربية "الشمشقيق"،يكتب فى المصادر العربية "الريد فرانسroi du france"،"الإمبراطور" يكتب فى المصادر العربية "الانبرور"،"لاسكاريس" يكتب فى المصادر العربية "الأشكرى"، "رودريك" يكتب فى المصادر العربية "لذريق"، "شارلمان" يكتب فى المصادر العربية "كارله"**وسوف يأتي الحديث مفصلاً عن هذه المصطلحات في موضعها من الدراسة.**

[٤٧] السحماوي: الثغر الباسم، ج١، ص٧ مقدمة المحقق.

[٤٨] الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٣٣؛ سمير الدروبى:أصناف الترجمة والتعريب فى ديوان الإنشاء المملوكى،(موقع المكتبة الشاملة)، ص١٢.

صاحب الشام، فاستخدم في ديوان الإنشاء لأجل كتب التتار لأن بعضها كانت ترد في تلك الأيام أعجمية، فاستخدم لتعريبها وكتابة الأجوبة عنها" ومن أشهر من كتب للصالح نجم الدين أيوب هو الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الأسعردي، الذي استمر في الكتابة حتى زمن المنصور قلاوون، الذي نقله من ديوان الإنشاء إلى الوزارة،توفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م.ثم ولى المنصور عوضاً عنه على ديوان الإنشاء القاضي فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بننشوان[٤٩].

أما في العصر المملوكي الذي كان أكثر إيغالاً في العجمة، لغلبة العناصر المملوكية من تركية وجركسية ورومية ومغولية على الحكم، فإن الحاجة إلى المترجمين كانت أكثر إلحاحاً، وقد وضح القلقشندي ذلك قائلاً: "فإن الشخص يميل إلى من يخاطبه بلسانه لا سيما إذا كان من غير جنسه، كما تميل نفوس ملوك الديار المصرية وأمرائها وجندها لمن يتكلم بالتركية: من العلماء والكُتاب ومن في معناهم على ما هو معلوم مشاهد"[٥٠].

ويفهم من قول القلقشندي أن ديوان الإنشاء قد شهد وجود عدد كبير من التراجمة، كما شهد أيضاً إقبال بعض كتاب السر على تعلم اللغة التركية أوغيرها من اللغات لما لذلك من أهمية في إدارة شؤون الدولة. وخير مثال على ذلك علاء الدين علي بن أحمد بن الأثير(ت:٧٣٠هـ/١٣٢٩م) وهو من أبناء أشهر العائلات التي امتهنت الكتابة في العصر المملوكي. وكان علاء الدين مقرباً من الناصر محمد بن قلاوون حيث عهد له بالإشراف على ديوان الإنشاء بالديار المصرية سنة ٧١١هـ/١٣١١م، واستمر في منصبه حتى وفاته. وبلغ من المكانة والعظمة في الدولة المملوكية مبلغاً كبيراً حتى أصبح يقلد أمراء المماليك أثناء أدائه لعمله في الديوان، فكان كما صوره الصفدي: "يركب بستة عشر مملوكاً من الأتراك، فيهم من هو بعشرة آلاف درهم وأكثر"[٥١].

ولعل في هذا ما يدل على أن علاء الدين بن الأثير قد أدخل كثيراً من المصطلحات والألفاظ المعروفة لدى المغول والترك والفرس، في مكاتبات ديوان الإنشاء المملوكي، وبخاصة إذا عرفنا أنه كان يقرّب الأدباء والحكماء الوافدين على دولة المماليك من بلاد العجم، مثل عبد اللطيف العجمي (ت: ٧٣١هـ/١٣٣٠م) الذي وصف بالفصاحة بالتركي والعجمي. كما استدعت الأحوال السياسية أن يكون بين كتاب الديوان من يجيدون الترجمة عن الرومية واليونانية، فقد كانت العلاقات الدبلوماسية بين المماليك والبيزنطيين متينة، وترددت الرسل بين الطرفين منذ أيام الظاهر بيبرس وحتى سقوط القسطنطينية على أيدي الأتراك العثمانيين في منتصف القرن التاسع الهجري تقريباً. فكان أهم ما عرّب عن اللغة اليونانية إلى العربية هو المعاهدات وما يتعلق بها

---

[٤٩] سمير الدروبي: أصناف الترجمة في ديوان الإنشاء، ص١٢؛ نقلاً ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، الأجزاء ١، ٢، ٤، ٦. تحقيق: محمد محمد أمين، والأجزاء ٣، ٥. تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، "١٩٨٤ – ١٩٩٠م"، ج١، ص١٣٦؛ **للمزيد من المعلومات عن كتاب ديوان الإنشاء في مصر يمكن الرجوع إلى:** السحماوي: الثغر الباسم، ج١، ص٦٢ وما بعدها.

[٥٠]القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ص١٦٦-١٦٧.

[٥١]**انظر**. الصفدي:الوافي بالوفيات،ج١، ص١٣٣.

مـن أيمـان يحلـف عليهـا المتعاهدان،فقـد وردت نسـخة يمـين مـن ملـك القسـطنطينية فـي سـنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م وتم تعريبها في الديوان[٥٢].

ومن المعربات عن اليونانية إلى العربية الرسائل التي تضمنت معنى توكيد الصداقة بين البيزنطيين والمماليك، وما يدخل في إطارها من تأمين التجارة، ورعاية الأماكن المقدسة، وتبادل الهدايا. وقد حفظ لنا القلقشندي واحدة من هذه الرسائل المعربة التي قام بترجمتها من اللغة اليونانية إلى العربية بطرك الملكانية بحضور سيف الدين الترجمان في سنة ٨١٤هـ/١٤١١م[٥٣].

ويطالعنا مؤلفو كتب الدساتير دائماً عند ذكر الأحداث والمعاهدات وصفهم للدولة البيزنطية وغيرها من الدول والممالك والإمارات الأوروبية ببلاد الكفر، وأباطرتها وحكامها بملوك بلاد الكفر. ولدينا العديد من هذه النماذج. فعلى سبيل المثال يقول ابن فضل الله العمري: "فأما رسم المكاتبة إلى ملوك الكفار، ممن بعد أوقرب بالجوار فأبعدهم صيتا وأجلهم قدرا، وأنبههم ذكرا، وأكثرهم سمعة في حديث وقديم: ملك الروم صاحب القسطنطينية"[٥٤].كما يقول القلقشندي: "اعلم أنّ الغالب في الهدن الواقعة بين ملوك الديار المصرية وبين ملوك الكفر أن تكتب نسخة تخلّد بديوان الإنشاء بالدّيار المصرية، ونسخة تجهّز إلى الملك المهادن."[٥٥] وكان كتاب ديوان الانشاء أكثر تصريحاً بأن نعتوا ملوك الدول النصرانية بلقب ملوك الكفر، فهم يقولون ما نصه: "اعلم أن جميع من يكتب إليه من عندنا كلهم من ملوك الكفر، وكلهم من ملوك دين النصرانية، فإن اليهود لم تبق لهم مملكة في الدنيا، بل أينما كانوا فهم تحت الجزية، ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس" [٥٦]. وفي تعريفه للقب "الملك الجليل" يقول القلقشندي: "والمراد الجليل بالنسبة إلى ملوك الكفر(أي عظيمٌ في قومه)، وإلا فالكافر لا يوصف بالعظمة. وكان الأحسن أن لا يكتب به إليهم، لا سيّما وهو اسم من أسمائه تعالى"[٥٧].

ومن الواضح أن هذا النهجفي الكتابة لم يكن يعبر عن سياسة الدولة آنذاك، فإن ما نقرأه في وثائق ديوان الإنشاء التي أوردها كتاب الوثائق ذاتهم، تتبنى لغة خاصة في التعامل مع

---

[٣] القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص٧٢.

[٥٣] يقول القلقشندي: ج١٤، ص٧٢"وقد وقفت على كتاب ورد منه (أي الإمبراطور البيزنطي) في السابع والعشرين من صفر سنة أربع عشرة وثمانمائة في درج ورق فرنجيّ في نحو عشرين وصلا قطع النصف، والبياض في أعلاه وصل واحد، وفي أسفله وصلان. وله هامش عن يمينه وهامش عن يساره، كلّ منهماتقدير أصبعين. ومقدار ما بين السّطور متفاوت، فأعلاه بين كلّسطرين أربعة أصابع مطبوقة. ثم بعد تقدير ثلث الكتاب: بين كلّ سطرين قدر ثلاثة أصابع، ثم بعد ذلك بين كل سطرين قدر أصبعين، ثم بعد ذلك بين كل سطرين قدر ثلاثة أصابع إلى آخر الكتاب، والقلم في غاية الدقة بقلم الرّقاع الدقيق. وفي آخره ثلاثة أسطر وقطعة بالحمرة بقلم أجلّ من الأوّل قليلا. وهذه نسخة كتاب معربة بترجمة بطرك الملكانية سيف الدين سيف الترجمان".

[٥٤] ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢١٢.

[٥٥]ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة،ج٣، ص٤٨٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٨٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى،ج١٤، ص٧٢؛ أحمد مختار العبادي: قيام الدولة المملوكية الأولى في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص٢٠؛ سمير الدروبي: حركة الترجمة والتعريب، ص٥٠.

[٥٦]القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص ص٧٨-٧٩؛ السحماوي: الثغر الباسم، ج٢،ص٨١١.

[٥٧]القلقشندي: صبح الأعشى، ج٦، ص٨٠.

الآخروخاصة فيما يتعلق بالمعاهدات السلمية التي غالباً ما كان يختص بحفظها ديوان الإنشاء. ولعل ما جاء في رد السلطان قلاوون على الإمبراطور البيزنطي، بما يحمله من ألقاب التعظيم والتفخيم وعبارات الإجلال والتقدير، خير دليل على ذلك؛ حيث يقول له: " أقول وأنا فلان: إنه لما رغب حضرة الملك الجليل، كرميخائيل، الدوقس، الأنجالوس، الكمينيوس، البالولوغس، ضابط مملكة الرّوم والقسطنطينيّة العظمى، أكبر ملوك المسيحيّة، أبقاه الله- أن يكون بين مملكته وبين عزّ سلطاني، محبة وصداقة ومودّة لا تتغيّر بتغيّر الأيام، ولا تزول بزوال السّنين والأعوام، وأكّد ذلك بيمين حلف عليها،... "[٥٨].

ولعل الصفحات القادمة من هذه الدراسة سوف تلقي الضوء على هذه الألقاب، كما توضح العديد من الجوانب التي تظهر الصورة السياسية والدينية لأباطرة الدولة البيزنطية وكذلك ملوك وأمراء الدول والممالك الأوروبية المعاصرين لدولة المماليك البحرية.

شروط الصلح والمهادنات في كتب الوثائق المملوكية:

أطلعتنا كتب الوثائق المملوكية على شروطعقد المعاهدات مع الأباطرة والملوك والأمراء، الذين يجنحون إلى السلم، ويطمحون في عقد المعاهدات أو المهادنات، مع دولة سلاطين المماليك. وكان القلقشندي (ت:٨٢١ هـ/ ١٤١٨ م) هو الأكثر إفادة في هذا المجال، نظراً لما بذله من جهد في جمع معلوماته من بطون الكتب التي صنفها من سبقه من كتاب كتب الدساتير (الوثائق) أو المؤرخين. وعادة ما كانت هذه المعاهدات تحدد بفترة زمنية معينة ومتفق عليها بين الطرفين، خاصة ما يعرف منها بالمهادنات، بحيث تتوقف الأعمال العسكرية وتبدأ فترة من السلام بين الطرفين المتعاهدين. وقد ورد في المصادر العربية عدة معاهدات، محددة بالسنة والشهروواليوم، بل والساعة أيضاً. منها معاهدة تمت بين السلطان الظاهر بيبرس والإسبتارية، تم تحديدها بعشر سنين متتابعات، وعشرة أشهر، أولها مستهل شهر رمضان سنة ٦٦٩هـ/١٨إبريل١٢٧٠م الموافق١٨نيسان سنة١٥٨٢"للإسكندر ابن فيلبس اليوناني"[٥٩]. ومعاهدة السلطان المنصور قلاوون وولده وولي عهده الملك الصالح علي مع الصليبيين في عكا وما معها من بلاد سواحل الشام سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، التي حددت بمدة "عشر سنين كاملة، وعشرة أشهر وعشرة أيام، وعشر ساعات" أولها يوم الخميس٥ربيع الأول[٦٠]. إلا أن هناك بعض المعاهدات التي صدرت دون تحديد مدة زمنية بشكل يدعو إلى التعجب ويثير التساؤلات عن أسباب ذلك، ومنها نص المعاهدة بين الإمبراطور ميخائيل الثامن والسلطان المنصور قلاوون. فقد أورد ابن الفراتوالقلقشندي نصين أحدهما من الإمبراطور ميخائيل الثامن إلى السلطان قلاوون، والثاني هو الرد من السلطان قلاوون إلى الإمبراطور، ولم يتضمن أي من النصين تحديداً لمدة المعاهدة بينهما. وربما كان ذلك نتيجة لاستمرار العلاقات الودية بين

---

[٥٨] القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص ص٧٥-٧٦.

[٥٩] القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص ص٤٢-٤٣.

[٦٠] القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص ص٥١-٥٢.

الطرفين منذ أيام السلطان الظاهر بيبرس، فقد اكتفى السلطان قلاوون في رسالته بقوله: "لتدوم المحبة فيما بين مملكته وعز سلطاني، وتكون ثابتةً مستمرةً على الدوام والاستمرار"[٦١].

أما ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة الهدن، فإن "هذا النوع من المكاتبات له من الدّولة محلّ خطير، ومن المملكة موضع كبير؛ ويتعين على الكاتب أن يخلّى له فكره، ويعمل فيه نظره، ويتوفّر عليه توفّرا يحكم مبانيه، ويهذّب معانيه"[٦٢].وغالباً يكتب بعد البسملة: ورسمها ايضاً بعد البسملة:(هذه هدنة استقرت بين السلطان فلان والسلطان فلان....) وتقرأ هذه الهدن على مسامع الاشهاد من الأعيان[٦٣].ومن مميزات هذه المكاتبة تكون محشوة بأسماء البلاد والأماكن التي تمت المهادنة عليها، وتُكتب بألوان القسم الإسلامية اذا كان القسم مسلماً او بألوان القسم المسيحية ويحلف قاسمها بالوفاء على ما عاهد عليه بالمهادنة[٦٤].وكان يُكتب اليمين عند تولية سلطان جديد او عند تسلم موظف لمهام عمله من النواب او الوزراء والكُتّاب وباقي أرباب التصرف في الأموال. وكان يتخللها حلفان أو قسم بعدم الخيانة والحكم بأمر الله تعالى واتباع سنته والعمل على طاعةالسلطان، ثم يختمه بكِتابة اسمه (اسم الحالف) بخطه او بخط من يكتب عنه[٦٥]. فضلاً عن حلف بيمين يؤخذ عن أهل الذمة من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل البدع والخارجين[٦٦].

الشروط الشرعية للهدنة:

الشروط الشرعية المعتبرة في صحّة العقد، والتي لا يصحّ عقد الهدنة بدون أي شرط منها،أربعة شروط:

الأوّل:لايصحّ العقد فيه إلا من الإمام الأعظم (الخليفة) وهو السلطان الحاكم رئيس السلطة الزمنيةأو من نائبه العامّ المفوّض إليه التّحدّث في جميع أمور المملكة. وإن كان على بعض القرى والأطراف، أو أحد الولاة المجاورين للأعداء الذين سوف يتم عقد الصّلح معهم.

الثاني: أن يكون في ذلك مصلحة للمسلمين: بأن يكون في المسلمين ضعف أو قلّة في المال، أو نقص في المؤن والسلاح، فتعطيهم الهدنة وقتًا لمعالجة كل هذه الأمور. أو توقّع إسلام من

---

[٦١] ابن الفرات: تاريخ الفرات،الطريق الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك، المعروف بتاريخ ابنالفرات،تحقيق: قسطنطينرزيق، بيروت، ١٩٤٢م،ج٧، ص ص٢٢٩-٢٣١؛القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص ص٧٢-٧٨.

[٦٢] القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص٧.

ومعنى الهدنة، أن يعقد لأهل الحرب عقداً على ترك القتال مدة، بعوض وبغير عوض. وتسمى مهادنة وموادعة ومعاهدة،وذلك جائز، بِدَلِيلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ١] . وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا} [الأنفال: ٦١].ابن قدامة: المغني، مكتبة القاهرة، القاهرة، ١٩٦٨م، ج٩، ص٢٩٦؛ **وانظر أيضاً** ما ذكره القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص٢.

[٦٣]القلقشندي، صبح الاعشى، ج١٤، ص ص٤٢-٤٩.

[٦٤]العمري: التعريف،ص ص١٦٨-١٧٠.

[٦٥] المصدر نفسه،ص ص١٤٦-١٥١.

[٦٦]العمري، التعريف، ص ص١٥١-١٦٤.

يهادنونهم، بسبب اختلاطهم بالمسلمين، أو طمع في قبولهم الجزية من غير قتال وإنفاق مال. فإن لم تكن مصلحة فلا يُهَادنَون بل يقاتلون حتّى يسلموا أو يؤدّوا الجزية إن كانوا من أهلها.

الثالث:أن لا يكون في العقد شرط يأباه الإسلام: فلا يجوز أن يكون هناك شرط يسمح بترك أموال المسلمين بأيدي أعدائهم، أو أن يردّ عليهم أسير مسلم انفلت منهم، أو شرط لهم على المسلمين مال من غير خوف على المسلمين، أو شرط ردّ مسلمة إليهم، فلا يصحّ العقد مع شيء من ذلك. بخلاف ما لو شرط ردّ الرجل المسلم أو للمرأة الكافرة فإنه لا يمنع الصّحّة. قال الغزالي: وقد جرت العادة أن يقول: نهادنكم على أنّ من جاءكم من المسلمين رددتموه، ومن جاءنا مسلماً رددناه. فإن كان في المسلمين ضعف وخيف عليهم، جاز التزام المال لهم دفعا للشّرّ، كما يجوز فكّ الأسير المسلم إذا عجزنا عن انتزاعه. ويطلق الفقهاء على الشروط التي لاتجوز فى الهدن، إنها شروط فاسدة، لأنها تتنافى مع عزة الإسلام والمسلمين.

الرابع:أن لا تزيد مدّة الهدنة عن أربعة أشهر عند قوّة المسلمين وأمنهم، ولا يجوز أن تبلغ سنة بحال؛ وفيما دون سنة وفوق أربعة أشهر قولان للشافعيّ رضي الله عنه، أصحّهما أنه لا يجوز. أما إذا كان في المسلمين ضعف وهناك خوف، فإنه تجوز المهادنة إلى عشر سنين؛ فقد هادن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أهل مكّة عشر سنين في صلح الحديبية. ولا تجوز الزيادة على عشر سنين مهما بلغ ضعف المسلمين.فإن احتيج إلى الزيادة على العشر، عقد على عشر ثم عشر ثم عشر قبل أن تقضّي الأولى، وهذا في رأي الفقهاء الشافعية. بينما ذهب المالكية والحنفية إلى أنه تجوز الزيادة على عشر سنين حسب اجتهاد الإمام ورأيه، لأن المصلحة قد تكون في الصلح أكثر منها في الحرب[٦٧].

وهناك مجموعة أخرى من الشروط التي ينبغي الالتزام بها، وذلك حسب ما تدعو إليه الضرورة في الهدنة، وحسب ظروف العصر الذي تعقد فيه. وقد نقلها القلقشندي وهي تتلخص فيما يلي:

١- أن يكون لوليّه مواليا، ولعدوّه معادياً، ولمسالمه مسالماً، ولمحاربه محارباً، ولا يواطيء عليه عدوّاً، ولا يوقع عليه صلحاً، ولا يوافق على ما يقدح في أمره، ولا يقبل سؤال سائل، ولا بذل باذل، ولا رسالة مراسل مما يخالف الاتّفاق الجاري.
٢- الأخذ على يد من سعى في نقض الصّلح ونكث العهد إن كان من أهل طاعته، والمقاتلة إن كان من المخالفين له.
٣- وأنّه إذا جنى من أهل مملكتهم جان كان عليه إحضاره أو الأخذ منه بالجناية.
٤- أن يكفّ عن بلاده وأعماله، ومتطرّف ثغوره، وشاسع نواحيه، أيدي الداخلين في جماعته، والمنضمّين إلى حوزته،ولا يجهّز لها جيشاً، ولا يحاول لها غزواً، ولا يبدأ أهلها بمنازعة، ولا يشرع لهم في مقارعة، ولا يتناوبهم بمكيدة ظاهرة ولا باطنة، ولا يعاملهم بأذيّة جليّة ولا خفيّة، ولا يطلق لأحد ممّن ينوب عنه في إمارة جيشه، ومن ينسب إلى جملته، ويتصرّف

---

[٦٧] ابن قدامة: المغني، ج٩، ص ص٢٩٦-٢٦٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص ص٧-٨؛ أحمد شلبي: العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٩٦؛ عبد الغني عبد الفتاح زهرة: الهدن والمفاسخات بين المسلمين والصليبيين، "دراسة في كيفية تحقيق النصر السياسي"، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ص ص١٤-١٦.

على إرادته عناناً إلى شيء من ذلك بوجه من الوجوه، ولا سبب من الأسباب، وأن لا يجاوز حدود مملكته إلى المملكة الأخرى بنفسه ولا بعسكر من عساكره.

٥- أن يفرج عمّن هو في حوزته ممّن أحاطت به ربقة الأسر، ويمكّنهم من المسير إلى بلادهم: بأنفسهم وخدمهم وعيالهم وأتباعهم، وأصناف أموالهم، في أتمّ حراسة، وأكمل خفارة، دون كلفة ولا مؤونة تلحقهم على إطلاقهم، ونحو ذلك.

٦- أن يشترط عليه مالاً يحمله إليه في كلّ سنة، أو أن يسلّم إليه ما يختاره: من حصون وقلاع وأطراف وسواحل مما وقع الاستيلاء عليه من بلاد المسلمين، أو أحبّ انتزاعه أو استضافته من بلاد من يهادنه من ملوك الكفر، وأن يبقي من بها من أهلها، ويقرّرهم فيها بحرمهم وأولادهم ومواشيهم وأزوادهم وسلاحهم وآلاتهم، دون أن يلتمس عن ذلك أو عن شيء منه مالاً، أو يطلب عنه بدلاً، وما ينخرط في هذا السّلك[٦٨].

وفى النهاية يجب علينا ان نذكر أمراً فى غاية الأهمية أن كتاب ديوان الإنشاء وتحديداً فى تحرير وثائق التراسل الدبلوماسي مع أباطرة وملوك الغرب الأوروبي لم يكونوا فقط ملتزمين بشروط الشرع الاسلامي فى تحرير تلك المراسلات والاتفاقيات والوثائق والمعاهدات، بل ملتزمين كذلك بأوامر ورغبات السلاطين المماليك أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة فى رسم هذه العلاقات، وبالتالي يكون دور هؤلاء الكتاب الأكبرهوالإبداع واستخدام خبراتهم فى تحرير تلك المراسلات كما يريد السلاطين المماليك أصحاب الأمر والنهي فى البلاد.

قائمة المصادر والمراجع[٦٩]

ابن الأثير :- عز الدين أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد الشيباني الجزري (ت:٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م).
"الكامل فى التاريخ"،ج١٠و ج٨،طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، سنة١٩٩٥م.

ابن إياس :- محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت: ٩٣٠هـ/١٥٢٤م).
" بدائع الزهور في وقائع الدهور"، تحقيق: محمد مصطفى في خمسة أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٩٨٢-١٩٨٤م).

---

[٦٨] القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص ص٩-١٠؛ السحماوي: الثغر الباسم، ج٢، ص ص٩١٨-٩١٩؛ أحمد شلبي: العلاقات الدولية في الفكر الإسلامي، ص١٩٧؛عبد الغني عبد الفتاح زهرة: الهدن والمفاسخات بين المسلمين والصليبيين، ص ص١٤-١٦.

[١] **لميردبهذهالقائمةسوىالمصادروالمراجعالمثبتةفىحواشىالدراسةفقط.**

ابن أيبك :- أبو بكر عبد الله الداودار (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣٢م).

" كنز الدرر وجامع الغرر"، الأجزاء ٧، ٨، ٩

١- **"الدر المطلوب في أخبار ملوك بنى أيوب"**، تحقيق: سعيد عاشور،ج٨، مطبوعات المعهد الألماني للآثار الشرقية، القاهرة،، ١٩٧٢م.

٢-"الدرة الذكية في أخبار الدولة التركية"، تحقيق: أولرخ هارمان، ج٩، مطبوعات المعهد الألمانى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧١م.

٣-"الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر" تحقيق: هانس روبرت، مطبوعات المعهد الألماني للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٦٠م.

ابن بطوطة :- محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).

رحلة ابن بطوطة المسماة **"تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار"**، دار الشرق العربي

بيبرس الدوادار :- ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار (ت: ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م)

"زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة"،ج٩، تحقيق: زبيدة عطا، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٢م

ابن تغري بردي :- أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٥م).

١-**"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"**، تحقيق: محمد بك رمزى نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٣٦م،ج١٣ تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م،ج١٤ تحقيق: جمال محمد محرز وفهيم محمد شلتوت، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م،ج ١٥ تحقيق: إبراهيم على طراخان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م،ج ١٦ تحقيق: جمال الدين الشيال وفهيم شلتوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

٢-**"المنهل الصافى والمستوفي بعد الوافى"**، الأجزاء ١، ٢، ٤، ٦ تحقيق: محمد محمد أمين والجزءان ٣ ، ٥ تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٤-١٩٩٠م).

ابن جبير :- أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير (ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م).

كتاب رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، المعروف بـ: **"رحلة ابن جبير"**، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

الجهشيارى :- أبوعبداللهمحمدبنعبدوسبنعبداللهالكوفيالجهشياري(ت:٣٣١هـ/٩٤٣م).

"الوزراءوالكتاب"،تحقيق: مصطفىالسقا،ابراهيمالإبياري،القاهرة، ١٩٣٨م

ابن جوزي :- شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاؤغلي التركي الشهير بسبط ابن الجوزى (ت:٦٥٤هـ/١٢٥٦م).

"مرآة الزمان في تاريخ الأعيان"، الجزء الثامن بقسميه الأول والثاني، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى (١٣٧٠هـ/١٩٥١م).

ابن حبيب :- الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر الحلبى (ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

"تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه"، ثلاثة أجزاء، تحقيق: محمد محمد أمين، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٦- ١٩٨٢م)

ابن حجر العسقلاني :- القاضى شهاب الدين أحمد بن على الحافظ العسقلاني (ت:٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

١- **"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"**، خمسة أجزاء، مطبعة دار الجيل، بيروت، (د.ت).

٢- **"إنباء الغمر بأبناء العمر"**، الأجزاء من الأول إلى السابع، طبع بإعانة وزارة المعارف الهندية تحت مراقبة محمد عبد المعين خان، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٦هـ/١٩٨٧م).

ابن خلدون :- عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٦م).

تاريخ ابن خلدون المسمى**"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"**، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م .

ابن خلكان :- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبو بكر (ت:٦٨١هـ/ ١٣٨٢م).

"وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ٨ أجزاء في ٤ مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، مطبوعات دار الثقافة، بيروت (د.ت).

الذهبي :- الحافظ شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز(ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م).

١- **"العبر في خبر من غبر"** ٣ أجزاء، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، والجزء الرابع من تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٣م.

٢-**"دول الإسلام"**، جزءان، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ومحمد مصطفى إبراهيم، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣-**"تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م.

السحماوي :- شمس الدين محمد بن محمد السحماوي الشافعي (ت:٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م). **"الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم"**، جزءان، تحقيق: أشرف أنس، مطبعة دار الكتب القومية، القاهرة ، ٢٠٠٩م.

السخاوي :- الحافظ شمس الدين بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبوبكر بن عثمان المصرى الشافعي (ت:٩٠٢هـ/١٤٩٦م).

"الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، الجزء العاشر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

ابنسعيد :- ابو الحسنعلىبنموسيبنسعيدالمغربي (ت: ٦٨٥هـ).

"الجغرافية"،تحقيق: إسماعيلالمغربي،بيروت،المكتبالتجاريللطباعةوالنشر، (د.ت).

شافع بن على :- ناصر الدين شافع بن على بن عباس بن إسماعيل بن عساكر الكتاني المصرى (ت: ٧٦٠هـ/١٢٣٠م).

"حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية"، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض،الطبعة الأولى،١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

الشجاعى :- شمس الدين الشجاعى (ت: منتصف ق ٨هـ/١٤م)

"تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاون وأولاده"، حققته وترجمته إلى الألمانية: بربارة شيفر، دار النشر، فرائز شتاينر، فيسبادن، ١٩٧٨م.

ابن شداد :- عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت:٦٨٤هـ/١٢٨٥م).

"تاريخ الملك الظاهر (بيبرس)"، تحقيق: أحمد حطيط، سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، دار النشر فرانز شتاينز، فيسبادن ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

شهرستانى :- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبو بكر (ت: ٥٤٨هـ/١١٥٣م).

"الملل والنحل": جزءان، الجزء الأول بخاصة تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

الصفدي :- صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ/١٢٣٤م).

١-**"الوافي بالوفيات"**،ج١ وج١٤،تحقيق:أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢-**"أعيان العصر وأعوان النصر"**، تحقيق: علي أبو زيد ونبيل أبو عمشة ومحمد موعد ومحمود سالم، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

ابن عبد الظاهر :- محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان، السعدي، المصري (ت:٦٩٢هـ / ١٢٩٢م).

١-**"الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (بيبرس)"** تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م.

٢-**"تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور (قلاوون)"**، تحقيق: مراد كامل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

العماد الحنبلي :- أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

"شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ٨ أجزاء ، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

العيني :- بدر الدين محمود بن أحمد، القاضى الحنفي العينتابي المصري (ت: ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

"عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان"، ٤ أجزاء، ج١: حوادث وتراجم (٦٤٨-٦٦٤هـ)، ج٢: حوادث وتراجم (٦٦٥-٦٨٨هـ)، ج٣: حوادث وتراجم (٦٨٩-٦٩٨هـ)، ج٤: حوادث وتراجم (٦٩٩-٧٠٧هـ). تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٨٧ - ١٩٩٢م).

أبو الفدا :- عماد الدين إسماعيل بن علي الملك المؤيد صاحب حماة(ت:٧٣٢هـ/١٣٣٢م).

"المختصر في أخبار البشر"، أجزاء في مجلد واحد، المطبعة الحسينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ.

ابن فضلان :- أحمد بن العباس بن راشد بن حماد البغدادي سنة(ت:٣٠٩هـ /٩٢١م)

رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخرز والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ - ٩٢١م ، تحقيق: سامي الروهان ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٦٠م

ابن فضل الله العمري :- أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت:٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

١-**"التعريف بالمصطلح الشريف"**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م.

٢-**"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"**، المجمع الثقافي، أبوظبي، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ.

ابن قاضي شهبة :- تقي الدين أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي (ت:٨٥١هـ).

""تاريخ ابن قاضي شهبة"، تحقيق: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٩٤م

ابنقدامة :- موفقالدينأبومحمدعبداللهبنأحمدبنقدامةبنمقدام (ت: ٦٢٠هـ).
"المغني"،ج٩، مكتبةالقاهرة،القاهرة، ١٩٦٨م.

القلقشندى :- أبو العباس أحمد بن على القلقشندى: (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م).

"صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ومذيلة بتصويات واستدراكات وفهارس تفصيلية مع دراسة وافية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العام للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

ابن كثير :- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل من عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م). **"البداية والنهاية"**،ج١٣و١٤، دار الفكر،١٩٨٦م.

الماوردي :- على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردي (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٧م).

"الأحكام السلطانية والولايات الدينية"، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

المفضل بن أبي الفضائل :- القبطي المصري (ت: بعد ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م).

"النهج السديد والدر الفريد في ما بعد تاريخ ابن العميد"، تحقيق: ايميل بلوشية،

جزء ١٢ و٤، (paralogia oriental) ، باريس ،١٩١٩-١٩٢٠م

المقرى :- أحمد بن أحمد بن يحيي بن عبد الرحمن التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الجزء الأول، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

المقريزى :- تقى الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م).

١-**"السلوك لمعرفة دول الملوك"**، ، الجزءان الأول والثاني تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٦م، والجزءان الثالث والرابع تحقيق: سعيد عاشور، بإشراف لجنة التأليف والترجمة والنشر ثم مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب سنوات (١٩٣٤- ١٩٧٣م).

٢-**"المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار"**، المعروف بـ الخطط المقريزية، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، (د.ت).

ابن مماتى :- أسعد بن المهذب أبو مليح مماتي: (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م).

"قوانين الدواوين"، جمعة وحققه: عزيز سريال عطية، مطبوعات الجمعية الزراعية الملكية، بالقاهرة، سنة ١٩٤٣م.

ابن منظور :- جمال الدين بن محمد بن مكرم الأنصارى الإفريقي المصرى (ت:٦٥٦هـ/١٢٥٨م). **"لسان العرب"**، ٢٠جزء، نسخة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والتوجيه والطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).

ابن ناظر الجيش :- تقي الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد بن يوسف التيمي الحلبي(ت:٧٨٦هـ/١٣٨٥م).**"تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف"**، تحقيق: رودلف فسلي، القاهرة، ١٩٨٥م

النويري :- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٣م).

"نهاية الأرب في فنون الأدب"، الجزء ٢٨ تحقيق: محمد محمد أمين، ومحمد حلمى محمد أحمد الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، الجزء ٢٩ تحقيق :محمد ضياء الريس، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤١٢هـ/١٩٩٢م) والجزء ٣٠ تحقيق: محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، الجزء ٣١ تحقيق: الباز العرينى، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

النويري السكندري :- (محمد بن قاسم بن محمد المالكي) (ت: ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣م).

"الإلمام بما جرت به الأحكام والأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية"، تحقيق: أتيين كومب، عزيز سوريال عطية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،٢٠١٠م

الهمذاني :- رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة ابى الخير (ت:٧١٨هـ).

"جامع التواريخ"، ترجمة: محمد صادق نشأت وآخرون، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٦٠م.

ابن واصل :- جمال الدين محمد بن سالم، الشافعى: (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٨م).

"مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب"، ج٤، تحقيق: حسنين محمد ربيع، مطبعة دار الكتب، القاهرة، (١٩٧٢-١٩٧٧م).

ياقوت الحموي :- شهاب الدين أبوعبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت:٦٢٧هـ/١٢٢٩م).
"معجم البلدان"، ٥ أجزاء، دار بيروت ، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

اليونيني :- قطب الدين أبو الفتح موسى بن أحمد بن قطب الدين البعلبكي الحلبي (ت: ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م).
"ذيل مرآة الزمان"، ٤أجزاء، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م.